الكلام الحقيقي (و إن كان موقعاً "مثالياً").

ذلك أنّ المعضلة في هذا النقاش ليست فقط استمرارية "الخطاب الفلسفي للحداثة"، هذا الخطاب الذي مايزال ينتظر لكي يطهّر نفسه عبر ممارسته نقداً أيديولوجياً متيّقظاً ومنفتحاً اجتماعياً. بل، إنّ السجال الدائر بين هابرماس وخصومه قد تركّز على امكانية ايجاد نظام اجتماعي قريب الشبه كثيراً بالصورة الذاتية الحالية للديموقراطيات الليرالية الغربية. بمعنى آخر، إنّه يأخذ على محمل الجدّ ادعاءاتهم التي تسعى إلى تمثيل مصالح الناخبين المطّلعين أفضل تمثيل - أو تمثيل "أفق عامّ" متنوّر - بحيث أنّ قضايا الحقيقة، الضمير الإجتماعي، الأولوية التقيمية، الخ، يمكن مناقشتها من خلال توريط أقصى لمواطنين يتمتعون بانفتاح حرّ وعادل على مصادر المعلومات المناسبة. ومهما تكن انزياحاته بعيدة في الردّ على التيار الحالي المضادّ للتأسيسية، فإنّ هابرماس مايزال مرتبط عن كثب بتقليد التفكير النقدي التحرري ـــ الإجتماعي الذي كان شعاره المبكّر مقالة كانط الديالكتيكيه "ما هي التنويرية؟".[٢٠] والقضية الرئيسية في عمله الأخير ـــ تمّ تناولها بقوة وإلحاح شديدين في كتابه (**الخطاب الفلسفي للحداثة**) - هي سؤال فيما إذا كان بالإمكان الدفاع عن قيم عصر الأنوار ضدّ الضربات الأخيرة للتفكير مابعد الحداثي، البراغماتي الجديد.[٢١] أن تجد هذا فكرةً طوباويةً بشكل عبثي يعني أن تتجاهل مايؤكّده مراراً هابرماس: وتحديداً أنّ "أفكار العقل" هذه (بالمعنى الكانطي) يمكن أن تكون بعيدة عن متناولنا ضمن شروط العالم الواقعي القائمة، لكنها مع ذلك تقدّم مقياساً نقدياً - معياراً للتحاور المتنوّر و المشترك - نقيّم من خلاله العيوب الكثيرة للمؤسسات الديموقراطية و الإجتماعية في أيامنا هذه.

هذا النوع من الطرح بالكاد يبدو جديداً. خلال العقود الثلاثة الماضية كانت مقاربة هذه القضايا نفسها تتمّ على يد المثقفين اليساريين الذين كانوا يجابهون ظهور نظرية "نهاية الأيديولوجيا" والذين كانت ادعاءاتهم ـــ مثلها